الواقعية في شعر الشاعر إلياس فرحات

الدكتور حميد رضا مشايخي
أستاذ مشارك، قسم الأدب العربي، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، جامعة مازندران، إيران
الدكتور حسن گودرزي لمراسكي
أستاذ مشارك، قسم الأدب العربي، كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية، جامعة مازندران، إيران
سلامه حاكم جاسم الصافي
طالبة دكتوراه، قسم الأدب العربي ،كلية الأدب الفارسي واللغات الأجنبية ، جامعة مازندران، إيران

Realism in the poetry of poet Elias Abu Farhat

Dr. Hamid Reza Mashaikhi
Assistant Professor، Department of Arabic Literature، Faculty of Persian Literature and Foreign Languages ،University of Mazandaran ، Iran E-mail/ Mashayekhih@umz.ac.ir
Dr.Hasan Goodarzi Lemrosk
Associate Professor ، Department of Arabic Literature، Faculty of Persian Literature and Foreign Languages، University of Mazandaran ، Iran E-mail/ h.goodarzi@umz.ac.ir
Salama Hakim Jassim Al-Safi
PhD student، Department of Arabic Literature،Faculty of Persian Literature and Foreign Languages ، University of Mazandaran ، Iran ،E-mail ssu119039@gmail.com

المستخلص

الشاعر إلياس فرحات ابن عصر النهضة ساهم من خلال عضويته في جمعية العصبة الأندلسية التي تتسم بأغلبية الشعر الإنساني عند شعرائها، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة شعر الشاعر إلياس فرحات الذي عالج الموضوعات الإنسانية الواقعية، وليس غريباً أن ينعكس ذلك على واقعية اللغة، ولا سيما في الشعر الذي يتحدث عن حياة أصحاب المهن المتواضعة، وقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي أنَّ شعر إلياس فرحات اتسم بالواقعية التي تجلت في مواضيعه المختارة في الدرجة الأولى (الحب، الغزل، السفر، الصحبة، السكن، البائع الجوال، العاشق) فهي مواضيع مستوحاة من واقعه الذي يعيشه في مختلف مجالات حياته، وقد انعكست الواقعية أيضاً على لغته الشعرية البسيطة السهلة التي تقترب من مستوى القارئ البسيط الذي لا يتطلب معرفته الواسعة في ميدان اللغة لفهم الشعر الذي بين يديه، ومن مظاهر الواقعية أيضاً خلوّ الأبيات التي أوردناها في متن هذا البحث من الصور البيانية التي تعتمد الخيال والمعاني المضافة على ظواهر المفردات التي تتطلب تشغيل الذهن لدى القارئ لفهم مراد الشاعر، إذ لجأ الشاعر فرحات إلى ما يعرف بالقصص الشعرية، ففي كل مجموعة من الأبيات نجد قصة مرسومة بأسلوبٍ شعريٍّ واقعيٍّ تحكي لنا عن مشهدٍ أو عملٍ يقوم به الشاعر بعناصره وما يحيط به خاصة حكاية العربة في قصة البائع الجوال.

الكلمات المفتاحية: الواقعية، الشعر، إلياس فرحات، الأسلوب، النقد.

Abstract

The poet Elias Farhat، the son of the Renaissance era، contributed through his membership in the Andalusian League Association، which is characterized by the majority of Its poets' human poetry. We relied on the descriptive and analytical approach to study the poetry of the poet Elias Abu Farhat، as he dealt with realistic humanitarian topics، and It is not surprising that this is reflected in the realism of the language. Especially in poetry that talks about the lives of people of humble professions، we have reached a set of results، which is that Elias Farahat's poetry was characterized by realism، which was evident In his chosen topics In the first place (love، flirtation، travel، companionship، housing، the traveling salesman، the lover)، as they are topics Inspired by his reality، which he lives in the company of those who accompanied him in the various areas of his life. Realism was also reflected In his simple and easy poetic language، which approaches the level of the simple reader who does not require extensive knowledge in the field of language to understand the poetry in his hands. Another manifestation of realism Is the absence of the verses that we have cited. In the body of this research of graphic images that rely on the meanings and added meanings on vocabulary phenomena that require the reader's mind to be activated to understand the poet's intent، the poet Farhat resorted to what Is known as poetic stories. In each group of verses we find a story drawn in a realistic poetic style that tells us about a scene or action. The poet does It with his elements and surroundings، especially the story of the cart In the story of the traveling salesman.

Keywords: realism، poetry، Elias Abu Farhat، style، criticism

بسم الله الرحمن الرحيم

٢- المقدمة:

بدأت بوادر النهضة الشعرية في الشعر العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بعد أن تهيّأت له الظروف والبواعث عن طريق عدة عوامل، منها الاتصال بالغرب والترجمة والطباعة وغيرها، فاستطاع بعض الشعراء أن يعيدوا للشعر إشراقه ورونقه، وللصياغة متانتها وألقها، فبعثوا الروح التي خمدت فيه حيّة من جديد.

حيث ارتبط الأسلوب الواقعي باللغة الواقعية التي عبرت أدق تعبير عن حياة الناس البسطاء من أصحاب المهن المتواضعة (الفلاح، العامل، ساعي البريد، البائع المتجول) وما يعانون في سبيل لقمة العيش في مجتمع مادي لا يرحم، وقد جاءت لغة هذا الأسلوب بسيطة، وواضحة، وقريبة من لغة الحياة اليومية، فأبنيتها وتراكيبها، لا هي بالأبنية والتراكيب الكلاسيكية عالية النبرة، ولا هي بالخافتة كما شاهدنا في أبنية وتراكيب الأسلوب الرومانسي، وخير ما يمكن القول فيها: إنّها تتكلم بصوت مسموع.

وخير شاهد على هذا الأسلوب قول الشاعر إلياس فرحات في صاحب النول(خشبة الحائك التي يلف عليها الثوب) (ابن منظور، ٢٠١٠م، مج٦ ص٤٣٣٨) الذي يعمل لديه: -مجزوء البسيط-

يَا صَاحِبَ النَّوْلِ كُلْ لَحْمِيْ وَلَا تَعْتَذِرْ

إنّي الصَّدِيْقُ الَّذيْ مَهْمَا تُسِئ يَغْتَفِرْ

أَنْقَصْتَ مِنْ أُجْرَتِي في ذَا الزَّمَانِ العَسِرْ

هَلْ خِفْتَ أَنْ أَغْتَنِي أَمْ خِفْتَ أَنْ تَفْتَقِرْ

يَا صَاحِبَ النَّوْلِ جُرْ وَاظْلِمْ فَلَنْ أَنْتَحِرْ[1]

(فرحات، ديوان، ص٢٦)

وهنا فإن الصورة الواقعية تعدّ منطلقاً لعكس الواقع، حين تقوم الأشياء، والظواهر الواقعة المرئية في محيطها النموذجي بتجسيد الأفكار والمشاعر والطموحات أو عندما تصبح المادة الواقعية المأخوذة من الحياة نقطة انطلاق للتعميم الفني الواسع، بحيث تشخص العلاقة المعرفية للفن بالواقع، إنها صورة العالم الذي يراقبه الإنسان في نتاج مركب للانطباعات والمشاهدات الحياتية بما تتضمنه من تعميمات الواقع والتجارب الإنسانية،

٣- مفهوم الواقعية لغةً واصطلاحاً:

- الواقعية لغةً:

وقَع على الشَّيء ومنه يَقَعُ وَقْعاً ووُقُوعاً: سقَطَ، ووَقَعَ الشّيءُ من يدي كذلك، والوَقِعةُ: الدّاهِيةُ. والواقِعةُ: النازِلةُ من صُرُوف الدهرِ، والواقعةُ: اسم من أَسماء يوم القيامة. ووَقَعَ الطائِرُ يَقَعُ وُقُوعاً، والاسم الوَقْعةُ: نزلَ عن طَيَرانِه، فهو واقِعٌ. وإنه لَحَسَنُ الوِقْعةِ، وواقَعَ الأُمورَ مُواقَعةً ووِقاعاً: داناها، والواقع هو الحاصل. (ابن منظور، ١٩٩٨م، مج٦ ص٤٧٧٠)

وفي الاصطلاح: الواقعية مذهبٌ يعتمد على وقائع تجري أمام العين لتصوير أحوال المجتمع على ما هي عليه، لتغدو تصويراً مبدعاً للإنسان والطبيعة في صفاتهما وتفاعلهما مع الاهتمام بالتفصيلات المشتركة للأشياء والأشخاص والحياة اليومية ولو كانت تفصيلات مبتذلة وكل ذلك ضمن إطار مألوف واقعي (الأصفر،١٩٩٩م،١٣٣)

[1] - فرحات، الياس، ديوان، ١٩

وبدايتها كانت فلسفيةً يقصد بها دراسة الموضوع كشيء قائم بذاته بصرف النظر عن مظهره الخارجي أو علاقته بالتجربة الإنسانية (راغب، ٢٠٠٣م، ٧٠٤)

- الشاعر الواقعي:

هو الشاعر المتسلح بالرؤية الواقعية للواقع الذي يعيشه فلا يلغيه باحثاً عن بديلٍ مثاليٍّ، بل يتصل به اتّصالاً مباشراً فيمعن النظر فيه ثم يسجّله وهو ماثل للعيان، في رؤية ملتزمة تحرص في تعمقها للواقع وكشف أبعاده فيقول كلمته بما يراه تحقيقاً لصالح الجماعة وسعادة الإنسان، ينعكس ذلك أيضاً على لغته المستعملة في أبياته فتعابير المعجم الكلاسيكي أو الرومنتيكي لا تصلح للتعبير عن رؤيته الواقعية، فيلجأ إلى معجم الرؤية الواقعية فلا نراه يستعمل الأبنية التقليدية الخاصة بالشعر القديم من مفردات وتراكيب بل يستعمل الأبنية المألوفة في عصر الشاعر مقترباً من واقعه ممثّلاً إياه تمثيلاً حقيقياً. (فضل، ٢٠٠٢م، ٢٣).

- الدراسات السابقة:

١- التحليل والنقد لشخصية وأدب إلياس فرحات شاعر العرب في المهجر، حسن مجيدي،٢٠١١م:

سلطت هذه الدراسة الضوء على الشاعر فرحات منذ مولده في قرية كفر شيما وتركه المدرسة وتعلمه المهن اليدوية، ثم هجرته على البرازيل ومزاولته عدة أعمال من تنضيد الحروف المطبعية وتربية المواشي والدواجن، إلى جباية اشتراكات الصحف، ثم زواجه بجوليا بشارة، ووفاته في البرازيل، أطلق عليه الدارس صفة الشاعر العصامي، متحدثاً عن مراحل حياته بشيء من التفصيل، وعن اتجاهاته الشعرية وتأثره بالشعر القديم ولاسيما المتنبي والمعري، ولجوئه إلى استعمال القصة الشعرية في شعره

مستعرضاً أمثلة عنها، ولكنه لم يعرّج على الجانب الواقعي في شعر فرحات رغم أنّه حكم عليه بأنه عصامي

٢- الواقعية السحرية في شعر سيف الرحيبي، صادق البوغبيش، ٢٠٢١م:

في هذه الدراسة بحثه الدارس عن عناصر الواقعية السحرية والدوافع التي تجعل الشاعر يستعملها والطريقة التي يصور بها هموم الإنسانية إذ جعل من الواقعية محاور عدة للدراسة ومنها واقعية الغربة، المرأة وواقعية الوصف، واقعية المكان، واقعية الشارع، واقعية الكهف، الصحراء، ليخلص إلى أن الشاعر من خلال جملة مكونات قصيدته يستطيع أن يصور معاناة الإنسان وطموحه وأن يقرّب التصاوير من المجتمع إلى مجتمعات خيالية إذ استطاع الشاعر الذي اختار قصائده مجالاً للتطبيق أن ينقل للمتلقي أوضاع المجتمع والقمع الذي تعيشه نساؤه والمضايقات الكثيرة التي تعاني منها مازجاً إياها بشيء من الواقعية السحرية عن طريق اللغة العجائبية عبر الأحلام والرؤيا متكئاً على التراث الشعبي والأسطوري.

٣- ملامح الواقعية في شعر توفيق زياد، فرزانه رحمانيان، د.ت:

اهتمت الدراسة بشاعر من شعراء فلسطين القضية الكبرى التي تمثل أكثر القضايا الواقعية معالجةً وتصويراً وتأثيراً في قلوب الشعراء والكتّاب والقارئين والأحرار المتابعين، إذ انبرى أبناؤها إلى نقل واقعها بمختلف ميادين الأدب ليعبروا عن غضبهم ويصوروا المأساة التي يعيشها هذا الشعب فكان الشاعر موضوع الدراسة المنتمي إلى شعراء الواقعية الاشتراكية بشعره المليء بالغضب والحنين، فقد التزم بقضية شعبه ومصير الإنسانية بما يفرض عليه أن يرسم ذلك في شعره فتتبين ملامح الواقعية، فكانت لغة شعره أحياناً عامية، وفي أبياته دمج للواقع السياسي للبلاد، والواقع الاجتماعي لأهل فلسطين تحت القهر والاستبداد، ثم تمرده ورفضه الواقع الأليم، وتنبؤه

بفجر جديد، وفي كل ذلك لم يغفل عن استعمال الأساطير والمواقف البطولية لتصوير الواقع. حتى قضاياه الذاتية اتخذت شكلاً واقعياً فالحبيبة غدت بالنسبة له هي الوطن وأحزانه أحزان بلده، فقد كرّس نفسه وشعره لخدمة واقعه أرضاً وشعباً.

وهنا فإن هذه الدراسة تشبه دراستنا من ناحية التركيز على الجانب الواقعي في الدراسة ولكن تختلف في ناحية التطبيق لاختيارنا شاعراً آخر من بلد آخر.

٤- الشاعر إلياس فرحات في سطور:

فرحات شاعر لبناني من مواليد عام ١٨٩٣م ولد في قرية كفر شيما اللبنانية، تلقى دروسه في مدرسة القرية، ثم تركها وتدرب على المهن اليدوية ثم هاجر إلى البرازيل عام ١٩١٠م، وهناك أصدر مجلة تحمل اسم (مجلة الجديد) ثم في تحرير جريدة المقرعة، ساهم في تأسيس العصبة الأندلسية، عرف بنزعته القومية والوطنية في شعره، عاد إلى سوريا ولبنان عام ١٩٥٩ وبقي حتى عام ١٩٧٦م، غادر إلى البرازيل مرة أخرى وتوفي هناك في العام ذاته، لم تتحسن أحواله إلا بعد أن مكث عدة سنوات في البرازيل وبعد كفاح طويل، اتَّسمت حياته بالمشقة والكفاح، نشر العديد من الدواوين الشعرية منها رباعيات فرحات، وديوان فرحات، وأحلام الراعي، والربيع، والصيف، والخريف، وفواكه رجعية، من سماته الشخصية أنه شديد المعارضة، كثير الهمة في الدرس والتحصيل رغم تركه المدرسة، ذاعت شهرته بوصفه شاعراً يدافع عن القضية العربية، وبخاصة في مرحلة الأحداث الكبرى التي تعرّضت لها الأمة العربية. (عيسى، الناعوري، ٢٠١٣م، ١٥)

٥- ملامح الواقعية في قصائد إلياس فرحات:

إلياس فرحات من العصاميين الذين ذللوا الصعاب بعنادهم حيث حصل على رزق بصعوبة وقد انتزعه من بين أنياب الحياة، وتدرج في العلم وحيداً لا يعتمد إلا على ذكاء فطري، أصبح همه الأول أن ينشر أفكاره وآراءه إلى الناس بشكل واسع حيث قسمت مراحل كتاباته الشعرية وفقاً للأحداث السياسية التي شهدها الوطن العربي بداية بنكبة فلسطين عام١٩٤٨م، وحتى نهاية حياته حمل في قصائده معاني الشدة والعنف واللوم وكذلك التفاؤل والأمل، حيث تجلت عنايته بالحياة الاجتماعية والسياسية للعرب في شعره وكذلك العادات التقليدية المتمثل بالحياة العربية (مجيدي، ٢٠١١م،٣)

من أهم سمات الشعر الواقعي تعبيره عن الواقع المتمثل بمواقف الإنسان التي يعيشها في زمن الشاعر من فرح أو حزن وتقدم أو تخلف وصراع ما بين العدل والظلم والحرية والعبودية والنهاية والموت، وموقف الإنسان من الكون والتاريخ وقضايا الوطن وإحياء التراث (حاقة،١٩٧٩م، ١٢٩)، يستخدم فيها الشاعر اللغة المحكية القريبة من كلام الناس، تبدأ من عنوان القصيدة وحتى آخر كلمة فيها، أو اعتماده على المفردات البسيطة، والاهتمام بالصور الكلية، وعدم الاقتصار على الصور الجزئية فتغدو القصيدة وحدة موضوعية، تتعاون فيها الأفكار والعواطف والصور والموسيقى في بناء هندسي متطور، (راغب، ٢٠٠٣م، ٧٠) مع إمكانية التحرر من وحدة البحر ووحدة القافية، والاكتفاء بما يعبر عنه بوحدة التفعيلة، دون ارتباط بعدد معين من الأسطر، فأطلق عليه السطر الشعري وليس البيت الشعري فقد يتكون السطر من تفعيلة واحدة أو أكثر، بالإضافة إلى الاعتماد على الموسيقى الداخلية المتمثلة في اختيار الألفاظ والصور الموحية والملائمة للموضوع وللجو النفسي. (عباس، ١٩٦٧م، ٢٥)

وللتعرف على الواقعية في شعر الياس فرحات فإننا نقدم فيمايلي تجليات الواقعية في قصيدته (حياة ومشقات) وهي قصيدة نظمت على البحر الطويل بقافية الباء.

في هذه القصيدة التي تبدأ واقعية الشاعر إلياس فرحات بدأً من عنوانها فهو الشاعر العصامي الذي قضى حياته وقد تعلّم كلّ الأعمال فيها هاجر وصنع نفسه بنفسه فيها نلمح يوميات الرجل العربي صاحب الهمّة في العمل، والطيبة في القلب، الملتزم دينياً سنقسم هذه القصيدة إلى مجموعات في كل مجموعة عدة أبيات تتناول موضوعاً ونرى مدى قربه من الواقع الذي عاشه الشاعر وسوف نقسمه وفقاً لعناوين رئيسة كما يلي:

١- واقعية الحياة الاجتماعية:

- واقعية الشاعر في الحديث عن سلوكه اليومي يقول: - الطويل-

أُرَاقِبُ فِي الظَّلْمَاءِ مَا اللَّيْلُ يَحْجُبُ وَأَقْرَأُ فِي الأَسْحَارِ مَا اللهُ يَكْتُبُ

وَأَسْتَعْرِضُ الأَيَّامَ يَوْمِي الَّذِي مَضَى دَلِيلٌ عَلَى يَوْمِي الَّذِي أَتَرَقَّبُ

(فرحات، ديوان، ص٤٢)

في هذه الأبيات نجد الشاعر يقضي ليله ساهراً متفكّراً متأمّلاً في أسرارٍ يخفيها الليل، وعند السحور يقرأ كلام الله في كتبه المقدسة، يسترجع في كل يوم ما جرى معه في يومه الذي مضى فلا يرى فرقاً يسجّل بين يومه الآتي والذي رحل، في هذين البيتين لا نجد ما يميّز الشاعر عن غيره من الناس فكلّ رجلٍ يقوم بذلك ربّما أو بعضاً منه وإن سألته ما الجديد يقول لك مسرعاً لا جديد فالشاعر رسم واقعاً يلامسنا جميعاً.

وفي لغة الشاعر نجد البساطة فلا يحتاج أي قارئٍ لمعجم لفك معاني هذه الكلمات فقد كتبت لتناسب القرّاء جميعاً، بالإضافة إلى كونها من صميم يومياتهم تخاطب وجدانهم وتجري أمام عيونهم.

– الحظ العاثر في واقعية الياس فرحات: – الطويل –

فَلاَ تَسْـــأَلُوا عَنِّي وَحَظِّي فَـإِنَّنَـا لأَمْثَالِ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَضْرَبُ

طَوَى الدَّهْرُ مِنْ عُمْرِي ثَلاثِينَ حِجَّةً طَوَيْتُ بِهَا الأَصْـقَاعَ أَسْـعَى وَأَدْأَبُ

أُغَرِّبُ خَلْفَ الرِّزْقِ وَهْوَ مُشَـــرِّقٌ وَأُقْسِـــمُ لَوْ شَـــرَّقْتُ كَانَ يُغَرِّبُ

وَأَنْـفُـرُ مِـنْ وَادٍ لِـطَـوْدٍ كَـأَنَّـنِـي وَقَدْ بَوَّقَ الدَاعُونَ لِلصَّـــيْدِ رَبْرَبُ

لِئَنْ غَرَّدَتْ لِلشَّـــاعِرِينَ بَلاَبِـلٌ فَـإِنَّ غُرَابَ الشُّـــؤْمِ حَوْلِيَ يَنْعَبُ

وَإِنْ كَانَ عِلْمَاً ثَابِتَاً قَوْلُ بَعْضِـــهِمْ لِكُـلِّ امْرِئٍ نَجْمٌ فَنَجْمِي الْمُـذَنَّـبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

يضرب الشاعر بذاته وبحظه العاثر المثل لأهل الأرض شرقا وغرباً فقد بلغ من عمره ثلاثين عاماً جاب بها البلاد سعياً وراء رزقه وما حظي به يوماً بل كان يغادر جهته التي يصل إليها إلى مكانٍ آخر فإن صعد الجبل بلغ الحظ فيه الواد ليصطاده الصيادون ويغادروا وكأنَّ نجوم الحظ التي تكلموا عنها لم ينله منها سوى ذلك النجم المذنب.

يعالج الشاعر واقعه اليومي في حظّه المتعثّر بأسلوبٍ ساخر وهو سمة الشاعر الواقعي في أحد جوانبه متكلماً على لسان الكثيرين من بني مجتمعه وأهله حيث نالت أبيات الشاعر إلياس فرحات هذه صيتاً واسعاً في شارعنا العربي فقل ما تجد رجلاً لا يردّدها أو سمع بها دون أن يعرف قائلها فهي تلامس وجدان كل امرئٍ في عالمنا على مختلف عصوره، فالجميع يرى خيبته في حياته ويسعى لتحسين حاله بلا جدوى فنراه يردد هذه الأبيات ضاحكاً، اعتمد فيها الشاعر لغةً عربيةً فصحى ولكنها بسيطة لا تحتاج إلى معجم إلا في بيته (أنفر – لطود – بوّق – ربرب) ونجد هذا فقط لإثبات قدرته المعرفية والبلاغية على اختيار كلمات معقدة تحتاج إلى شرح في حين

نلحظه في بقية الأبيات بسيط المفردات والتراكيب لغته قريبة من حياة مجتمعه كقوله (أغرب – أشرق) بالإضافة إلى استعانته بظاهرة التنجيم المرتبطة بالمجتمعات كافة وهي التي يسير كثير من الناس خلفها لمعرفة ما تخبّئه النجوم لها من حظوظ في يومها أو قادم الأيام مع مزيجٍ من سخريته المشوّقة فيجعل طالعه مرتبطاً بنجم المذنب وهو لا مكان له بين نجوم الحظ عادةً ولكنّا دعابةٌ لطيفة في زمنٍ أسودٍ تعبّر عن محبّة الشاعر للحياة وبثّه للأمل والفكاهة في وسط القارئين المتذوقين للشعر.

– واقعية الشاعر في عمله ببيع البضائع بعربة متنقلة: – الطويل –

وَمَرْكَبَـةٍ لِلنَقْـلِ رَاحَـتْ يَجُرُّهَـا حِصَـــانَانِ: مُحْمَرٌّ هَزِيلٌ وَأَشْـــهَبُ

لَهَا خَيْمَةٌ تَدْعُو إِلَى الْهُزْءِ شَـدَّهَا غَرَابِيـلُ أَدْعَى لِلْوَقَـارِ وَأَنْسَـــبُ

جَلَسَـــتْ إِلَى حُوذِيِّهَـا وَوَرَاءَنَـا صَـــنَادِيقُ فِيهَا مَا يَسُـــرُّ وَيُعْجِبُ

حَوَتْ سِـــلَعاً مِنْ كُلِّ نَوْعٍ يَبِيعُهَا فَتًى مَا أَسْـــتَحَلَّ البَيْعَ لَوْلا التَّغَرُّبُ

وَرَاحَـتْ كَـأَنَّ البَرَّ بَحْرٌ نِجَـادُهُ وَأَغْـوَارُهُ أَمْـوَاجِـهُ، وَهْـيَ مَـرْكَـبُ

تَبِينُ وَتَخْفَى فِي الرُّبَى وَحِيَـالَهَـا فَيَحْسَـبُهَا الرَاؤُونَ تَطْفُو وَتَرْسُـبُ

وَتَدْخُلُ قَلْبَ الغَابِ وَالصُّبْحُ مُسْفِرٌ فَتَحْسَـــبُ أَنَّ اللَّيْـلَ لِلَّيْـلِ مُعْقِبُ

تَمُرُّ عَلَى صُـــمِّ الصَّـــفَا عَجَلاتُهَا فَنَسْمَعُ قَلْبَ الصَّخْرِ يَشْكُو وَيَصْخَبُ

وَتَرْقُصُ فَوْقَ النَّاتِئَاتِ مِنَ الحَصَى فَنُوشِـــكُ مِنْ تِلْكَ الخَلاَعَةِ نُقْلَبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

في هذه المرحلة من غربة الشاعر نجده يعمل بتجارة بيع السلع عبر تعبئتها بصناديق وتحميلها على عربة تجرها الأحصنة فيدور بها الأصقاع بحثاً عن المشترين

لها وهنا يصف لنا هذه العملية وصفاً دقيقاً مليئاً بالصور الواقعية التي تمثل حقيقة هذه العملية وصفات العربة وما يجري معهم فيها.

يقول أنّ هذه العربة يجرّها حصانان الأول حصانٌ أحمر ضعيف هزيل والثاني أشهب هذه العربة مشدّرة بغطاء كالخيمة ولكنّ هذا الغطاء مثقب كما الغرابيل بل جعل الغربال بثقوبه الكثيرة أكثر جمالاً وهيبةً منها فهي مهترئة وممزقة تكاد لا تخفي ما في داخلها من البضائع والصناديق التي تم ترتيب السلع بداخلها ووضعها إلى جانب سائق العربة وفي صندوقها هذا السائق هو البائع ذاته الذي انتحل شخصية السائق ويعمل بهذه الطريقة في بلاد الغربة فلا دكان له ولا مكان يعرض فيه بضاعته فقرر تسيير هذه العربة وبيع السلع فيها.

ولحركة العربة صورٌ يسطرها الشاعر في أبياته فيشبهها بالمركب الذي يركب البحر فيقطع فيه مسافات عبر أمواجه وأغواره متنقلاً إلى مسافات بعيدة، فتارةً تراها في أعلى تلةٍ تسير ثمّ تهبط واديها فالرائي لها من بعيد يحسبها تركب أمواج ذلك البحر فتارةً تعلو فتطفو فوق الموج ثم تهبط فتنزل إلى أسفل الموجة وكأنها قد غرقت تتلاطمها الأمواج وكأنها تتلاعب بها، وفي مسير العربة تصادف غابات من أشجارٍ كثيفةٍ تيجانها متلاصقة فكان ظلّها على الأرض سميكاً يحسبها الداخل إليها أنّ الليل قد هبط ولم تأتي ساعاته بعد.

ولعجلات العربة صورٌ خاصة بها فهي تدور على الأرض فتمرّ فوق الصخور الصلبة التي جعل الشاعر هذه الصخور الصامتة على مدى عمرها تشكو من ثقل هذه العربة وأثر عجلاتها عليها فتسمع لها جلبةً، ولأثر ارتفاع الصخور ونتوءها على الطريق ترى العربة ترقص فوقها رقصةً يكاد ركّابها ينخلعون من جرّائها في إشارةٍ إلى

مرارة ركوبها وصعوبة الطرقات التي تسير فيها والمخاطر التي تهدّد راكبيها في تجوالهم التجاري.

في هذه الأبيات نستمتع كقرّاء بقصة البيع التجاري الذي صوّره لنا الشاعر فرحات وهي إحدى المهن التي كانت سائدة في عصر القديمة قبل انتشار السيارات والوسائط الحديثة في النقل التي كانت لا تزال قليلة حينها فيرسم الشاعر صورةً متكاملةً لعملية البيع معتمداً على الصور الحسية البصرية بقوله (الراؤون – فتحسبُ – الليل – تمرُّ ترقص) والسمعية كما في قوله (فنسمع – يشكو – يصخب) فهو يصور ما يجري أمام ناظريه وينقل واقعاً لا يحتاج إلى الأخيلة أو الوصف.

كما نجد لغة البائعين التي دخلت بين مفردات التاجر (خيمة – غرابيل – وقار – صناديق – يسرُّ ويعجبُ – سلعاً – من كل نوع – يبيعها – استحلّ البيع) فهو من يقوم بالتجارة وأدى الناس بهذه العبارات ومدى تعلّقها بالتاجر وواقعه العملي الذي يعيشه كل يوم من ترتيب للصناديق ومحافظته على وقاره وتفنيده ما يسر وما يعجب المشترين من السلع من كل الأنواع ليبيعها لهم فقد استحلّ البيع والتجارة.

أما الصور البيانية فلولا تشبيه العربة بالمركب لم نلحظ أي صورة بيانية ولكنّ الشاعر لجأ إليها في معرض رسم الصورة الكلية لحركة العربة وقطعها المسافات الشاسعة كالبحر، وتموجها صعوداً وهبوطاً بين الجبال والتلال والوديان، وقطعها الغابات الكثيفة والأجمات الملتفة وهذا مردّه أن الشاعر يقوم بتصوير ما يشاهده بعينه فيرسم لوحته دون الحاجة للأساليب البلاغية والصور البيانية.

- **واقعية الشاعر الياس فرحات من خلال وصفه المبيت في بيوت الفقراء:**

- الطويل-

نَبِيتُ بِأَكْوَاخٍ خَلَتْ مِنْ أُنَاسِـــهَا وَقَـامَ عَلَيْهَـا البُومُ يَبْكِي وَيَنْـدُبُ

مُفَكَّكَــةٍ جُـدْرَانُهَـا وَسُـــقُوفُهَـا يُطِـلُّ عَلَيْنَـا النَّجْمُ مِنْهَـا وَيَغْرُبُ

عَلَيْهَا نُقُوشٌ لَمْ تُخَطَّطْ بِرِيشَـــةٍ تَظُنُّ صِـــبَاغَاً لَوْنَهَا وَهْوَ طُحْلُبُ

يُغَنِّي لَنَـا فِيهَـا الْهَوَاءُ كَـأَنَّـهُ يُنَوِّمُنَـا، وَالْبَرْدُ لِلنَّوْمِ مُـذْهِـبُ

فَنُمْسِي وَفِي أَجْفَانِنَا الشَّوْقُ لِلْكَرَى وَنُضْحِي وَجَمْرُ السُّهْدِ فِيهِنَّ يَلْهَبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

ومكان مبيت الشاعر له نصيبه من عملية الرسم الواقعي الذي سار فيها الشاعر في أبيات قصيدته التي تنقل فيها بين قصص حياته ويومياته كما تتنقل به الأيام في أوقاتها بين السحور والصباح ثم العشاء، فبعد أن قرأ ما كتب الله في السحر واستعرض ما جرى معه البارحة وخيبة حظّه ثم البيع بالعربة نراه يلجأ في العشاء إلى النوم فيصف لنا المنازل التي يبيت فيها بريشة رسام لا بقلم الشاعر الخيالي الذي ينسج من خياله صورةً لدنيا يهرب فيها من واقعه بل نراه يدخل في تفاصيله فيرسمه ليغدو قصةً يقرأها كل جيل من الأجيال عن زمن عاشه الشاعر في يوم من الأيام ولعلّه لا يزال يكرر نفسه حتى الآن.

فكوخ الشاعر لا يعيش فيه الناس لأنّهم يخافون على حياتهم فتركوها ورحلوا إلى أماكن أخرى، لم يبقَ فيها سوى البوم الذي يبكي ويندبُ أهلها الراحلين وهوى بطبيعة البشر رمزٌ للخراب ومدعاةٌ لرؤية الفقر والدمار، فهذه البيوت بجدران مفككة وسقوفٍ مفتّحة منهارة في جزءٍ منها فالراقد تحتها يمكنها أن يرى من خلالها نجوم السماء فيقدر أن يعرف من سطع ومن غرب، سكنت جدرانها المتعفّنة طحالب خضراء

اللون فتراها في الليل كأنّها خطوط ونقوشٌ مرسومة عليها كما الصباغ التي يستعملها الفنان في رسم لوحاته، ولأنّ جدرانها وسقوفها ليست كتيمة تره الهواء يدخل ويخرج على راحته فيصدر صوتاً كأنه يغنّي لأولئك التعساء الذي قرّروا النوم في مثل هذه البيوت، رغم أنّ البرد الذي يعيش معهم في هذه البيوت يمنعهم من النوم فلا مكان للدفيء بين أحضان جدرانه، وطوال الليل لا ينام أحد منهم فيقضي الليل كله مشتاقاً للنوم، ويستيقظ وعيونه محمرّ لشدّة النعاس وعدم القدرة على إغماضها فتراها تحرق جفنيها وتلتهب.

في هذه الأبيات صورة الفقر والمعيشة الصعبة التي يعيشها الشاعر في بيوت هجرها أهلها خوفاً على حياتهم، ولكن لا ملجأ للشاعر وصحبه غير هذه البيوت ومعيشتهم تفرض عليهم البقاء فيها حتى يحين الصباح، اتخذ من البوم رمزاً للخراب وصوّر الخطر الذي يحيط بهم، والبرد والريح التي لا تمنعها جدران هذه المنازل فلا نوم ولا راحة بل سهر وتعب.

هذه الصورة الكلية التي رسمها الشاعر لسكنه ونومه وموعد راحته بعد عناء اليوم الطويل من العمل سواء في التجارة أو غيرها نراه كيف عبّر عنها بلغةٍ بسيطةٍ سهلةٍ، ومفرداتٍ قريبة من طابع هذه الحياة كما في قوله (أكواخ وليست منازل – البوم –مفككة جدرانها – عليها نقوش – طحلب– ينوّمنا) حيث ابتعد عن البلاغة والبديع بل كلام شاعريٌّ بجرسٍ موسيقيٍّ تطرب له الأذن سمحت به القافية التي تتكرر على طول القصيدة وجمالية القصة الشعرية التي تعالجها الأبيات هذه القصة الواقعية المستقاة من يوميات الشاعر.

- وكذلك تتجلى واقعية الشاعر الياس فرحات في الحديث عن الطعام: - الطويل-

وَمَأْكَلُنَا مِمَّا نَصِـــيدُ وَطَالَمَا طَوَيْنَـا لأَنَّ الصَّـــيْدَ عَنَّـا مُغَيَّبُ

وَنَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُ الخَيْلُ تَارَةً وَطَوْرَاً تَعَافُ الخَيْلُ مَا نَحْنُ نَشْرَبُ

حَيَاةُ مَشَـــقَّاتٍ وَلَكِنْ لِبُعْدِهَا عَنِ الذُّلِّ تَصْـــفُو لِلأَبِيِّ وَتَعْذُبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

أمّا طعام الشاعر فهو مما يصيده وصحبه من طرائد ولكنّهم قد يقضون وقتاً طويلاً بلا طعام لأنّ الصيد ليس ممكناً النجاح في الحصول على الطريدة في كل مرة، ولذلك فإنّهم ينامون على جوع فلا مكان في بيوتهم تجد فيه مؤونة أو ما يذخرونه ليومٍ آخر وإنما طعامهم إنتاج يومهم فهم إن أنتجوه أكلوا وإلا قضوا يومهم بلا طعام.

أما الماء فإنّهم يشربون مما تشرب الخيل فيشربون وهم على ثقة أنّه ماءٌ زلال، ولكنّهم شربوا من مياه لا تشرب منها الخيل في كثير من الأوقات وهذا من أشد ما يلاقيه المرء في ترحاله وتجواله ألا يجد شربة الماء النقية ليتزوّد بها.

هذه الأبيات استمرار لرسم صورة واقع الشاعر الحياتي وتنقله في يومه من مكان إلى آخر بلغته التي لا تكلّف فيها وأفكار ومعاني مستقاة من مجرى يومياته وما تحمله فيها بعيداً عن الخيالات والتصورات، فهي وإن كانت حياةٌ مليئةٌ بالمشاقة على حسب ما يقول إلّا أنّها بعيدة عن الذلّ لأنّها حياة الأباة الذين يعتمدون على أنفسهم في كسب قوت يومهم ومعيشتهم ولا يرتضون ذلّ التزلّف أو الطلب من الآخرين استجداءً أو عطاءً أو نصرةً بل يعتمدون على أنفسهم وعلى جنى أيديهم وإن كان قليلاً صعب المنال.

٢- واقعية الحياة العاطفية عند الشاعر:

- واقعية الشاعر الياس فرحات في التغزل:

لا يستطرد الشاعر في حديثه عن الغزل وإنما يصف لنا مكان اللقاء حيث وجد بعض الجميلات فيقول: - الطويل-

وَقَدْ نَلْتَقِي بَعْضَ الجَمِيلاَتِ صُدْفَةً فَيُطْرِبْنَنَـا وَالْمُبْـدُع الغِيـد مُطْرِبُ

وَكُـلُّ مَكَـانٍ فِيـهِ لِلْحُسْـــنِ مَرْتَعٌ وَلِلطَّرْفِ مَلْهَىً فِيـهِ لِلْحُبِّ مَلْعَبُ

وَمَـا تَلْتَقِي عَيْنَـا فَتَـاةِ حَيِيَّـةٍ وَعَيْنَـا فَتَىً إلاَّ لِكُوبِيـدَ مَـأْرَبُ

وَهَلْ أَنَـا إلاَّ شَـــاعِرٌ لاَنَ قَلْبُـهُ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْلَةِ الحُبِّ مَهْرَبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

عندما وصلنا مع الشاعر إلى هذه الأبيات كان أغلب الظن أن الشاعر سيبدأ باستعراض فحولته وتغنّيه بحبيبته ولكن نجده على عجالة من أمره يذكّرنا بأنّه شابٌّ ثلاثيني وللحب في حياته نصيب ولكن أيُّ نصيب يكفيه أربع أبيات للحديث عن الحب في حياته، وكأنّ العمل وضنك العيش لا يتسعان للمحبين وما ينشأ بينهما من قصص.

لنجده يستعمل كلمة (قد) ثم (صدفة) لنجد أنَّ الأمر لا يتجاوز الاحتمالات فالشاعر ربما في مسيره اليومي للعمل يحتضي ببعض الفتيات الجميلات فيطربُ لسماع صوتهنّ وجمال مشهنّ وسيرهنّ بخصورهنّ لا بدّله أن يُطرب، ففي كل مكان لا بدّ أن يكون للجمال حضوره فترنو له العيون ويبدأ الحب بتهيئة ساحته فالتقاء عين الفتيات الحسناوات مع الفتيان هو موقع تدخّل غله الحب والرغبة وحامي الشعوب والزواج كوبيد الذي يُرسم بصورة الطفل المجنح وهذا مما اعتدنا فيه عند الشاعر من إضفاء لمسة الدعابة اللطيفة على أبياته وأفكاره والسبب في ذلك رهافة حسّه ولطافة

روحه فهو الشاعر ذو القلب الطاهر النقي الطيب الذي يلين عند رؤية الحسناوات فلا مهرب له منهنّ.

يقف الحديث عند هذا الحدّ فرفيق حظّه العاثر وعيشه الصعب القاسي لا بدّ أن يكون توقف القلب عن الحب وقلة قصصه في حياته المليئة بالمشقات والصعوبات، وهذا انسجام مع الطابع الواقعي لأبياته الشعرية، فهو لا يريد أن يسمح لخياله برسم قصصٍ ليست في حياته التي حمّلها عنوان القصيدة بل يحكي ما يعيشه تماماً لا يبتغي نيل صوابيّة الرأي حول فكرة أو تشجيعاً على منهج أو خطاباً للنصرة وإنما تصويرٌ لحياته الواقعية لإمتاع القارئ وذكرى دائمة لمن يحبه.

– الواقعية في توجيه العتب: – الطويل–

عَتِبْتُ عَلَى نَاسٍ أَضَـــاعُوا مَوَدَّتِي وَكُلُّ كَرِيمٍ خَـانَـهُ الصَّـــحْبُ يَعْتَبُ
فَقَـدْ زَعَمُوا أَنِّي هَجَوْتُ حَبِيبَهُمْ وَأَنِّي سَـــأَهْجُو غَيْرَهُ حِينَ أَخْطُبُ
وَلَسْـــتُ بِهَجَّـاءٍ.. وَلَكِنَّـهُ الْهَوَى إِذَا قَـادَ نَفْسَ الْمَرْءِ فَـالنُّورُ غَيْهَـبُ
أَنَـا مَنْ يَرَى أَنَّ الرِّيَـاءَ مَعَرَّةٌ وَأَنَّ خَبِيثَ القَوْلِ فِي الصِّـدْقِ طَيِّبُ
وَمَـا أَنَـا إِلاَّ كَـالزَّمَـانِ وَأَهْلِـهِ أَعَافُ وَأَسْـتَحْلِي وَأَرْضَـى وَأَغْضَـبُ
فَـأَيُّ هِجَـاءٍ فِي مَقَـالِي لِعَقْرَبٍ لَـهُ وَلَـعٌ بِـالشَّـــرِّ إِنَّـكَ عَقْرَبُ
فَيَا نَفْسُ إِلاَّ أَنْتِ مَا لَكِ وَاعْلَمِي بِـأَنَّ كُـلَّ بَرْقٍ غَيْر بَرْقِـكِ خُلَّـبُ
تَعِبْتِ إِذَا اسْتَنْظَرْتِ خَيْرَاً مِنَ الوَرَى وَمُسْتَقْطِرُ السَّلْوَى مِنَ الصَّابِ يَتْعَبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

هنا نلحظ الشاعر حتى في عتابه يسير مسيرة الواقعية لا يستدعي قصصا أو أخباراً عن الوفاء والمحبة والإخلاص، ورموزاً ضحّت فيه الصداقة لأجل بعضها، بل

نجده في السابق يعذر صحبه بسبب فقرهم وهذه حقيقة الحال، والآن يختار منهم أولئك الذين يعتب عليهم فيرسم صورة واقعية أخرى بعيداً عن التزلّف والخيالية.

فهو يعاتب من ادّعوا صداقته ومودّته وما عتبه إلا من محبّته لهم وتعلّقه بهم، لأنّهم زعموا أنّه هجا من يحبون وسيأتي عليهم الدور في مرة قادمة، ليذكّرهم أنّه ليس من هذا النوع ولكنّه أسير محبّته لا يفعل شيئاً إلا إذا كان يحبّه فالحب هو النور الذي يضيء حياته ومنهجه، وهذا ما يجعله يرى أن النفاق مذلّةٌ وأنّ الصدق لا يجتمع مع القول الخبيث في أي حال من الأحول، معطياً ذاته صفتها الحقيقية فتارة ترضى وتارة تغضب تارة تثور وأخرى تهدأ كما زمانهم يحلو ويزداد مراره في كل آن وأوان، فما يقوله هو الحقيقة بعينها ليس هجاءً كمن يقول عن العقرب أنّه عقرب (وهذه شاهدة فم الشاعر على واقعية أبياته ووصفه ومدحه وهجائه) فما عاد يصدّق أحداً في هذه الحياة إلّا نفسه وهذا سببه الخيبة من رفاقٍ آثروا جفاءه فلقد تعب من انتظار الخير منهم كمن ينتظر ممن يصبّ الحلوى أن تصل حلواه إليه.

وهكذا نجد الشاعر إلياس فرحات حتى في عتابه من حوله لم يلجأ إلى التفخيم بذاته بل بكلّ بساطة عبّر عن ذاته الصادقة الناطقة بالحق التي تسمي الأشياء بمسمياتها ولا تبحث عن التزييف أو التزيين فتغير الحقيقة، وترسم صوراً خيالية بعيدةً عن الواقع.

في القصيدة السابقة ربما تعمّد الشاعر عبر عنوانها أن تكون واقعية في محض إرادته فيما يلي مقتطفات من بعض قصائده نبحث فيها عن الخيال الشاعر وبعده الواقع أو ارتباطه بالواقع من خلال قصائده التالية:

- الواقعية في الحب عند الشاعر إلياس فرحات:

في قصيدة تحمل عنوان (حبيبي تعال) يقول الشاعر إلياس فرحات: - الوافر-

حَبِيْبِي تَعَـالَ تَجِـدْ مَنْزِلَـكْ مُعَدّاً كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ لَكْ
تَعَالَ فَمَا احْتَلَّ قَلْبِيْ سِـواكَ وَغيرُكَ في خَاطِرِي مَاسَـلَكْ
تَعَالَ فَهَذَا بِسَـاطُ الرَّبيعِ يُوْشِـي بِـأَزْهَـارِهِ مَخْمَلَـكْ
تَعَـالَ أَنْظُرْ النّيّراتِ اللّواتي تَعَرَّيْنَ لمَّـا لَبِسْـنَ الحُلَـكْ
فلَوْلَاكَ لَمْ تَبْدُ هَذيْ النُّجُوْم وَلَوْلَاكَ مَـا دَارَ هَـذَا الْفَلَـكْ
حَبيبي تَعَالَ ادْنُ مِنّي فَكَمْ حَسَـدْتُ النّسـيْمَ الَّذيْ قَبَّلَكْ
تَعَالَ ارْفَعِ إلياس عَنْ مُدْنَف إِذَا لَمْ تُبَـادِرْ إليـهِ هَلَـكْ
تَعَالَ اشْهَدِ النَّزْعَ نَزْعَ الَّذِي سِوَى دَمْعَةِ الْوَجْدِ لَمْ يَسْأَلَكْ
تَعَالَ ابْكِ صَـبّاً يُولّي وَلَوْلَا وَدَاعُ الحياةِ لَمَا اسْـتَعْجَلَكْ
أَمُوتُ عَلَى رَشْفَةٍ مِنْ لَمَاكَ فَيَا أَكْرَمَ النَّاسِ مَا أَبْخَلَكْ

(فرحات، ديوان, ص٦٩)

في معرض الغزل نجد الشاعر يخاطب محبوبته لتأتي وما بداية أبياته بهذه الطريق إلا ليريها واقعه الذي يعيشه كما هو من غير تزييف ولا بهرجة فبيته ما زال معدّاً لها كما عهدته وهنا نلمس واقعية الأمر فكان بإمكان الشاعر أن يبنى قصراً من الأحلام مرصّعاً بالجواهر ويسير فيه الخدم ولكنَّ منزله كما رأته محبوبته معدّ على حاله ينتظرها مع صاحبه كي تأتي وتسكنه.

ليكرر طلبه في سائر أبياته قصيدته عبر الأمر الطلبي بصيغة التحبّب والعطب (تعالَ) وهذا الفعل يتطلّب الشهود والعيان والحقيقة الواقعية المصورة اعتمده الشاعر ليرسم حالته لمحبوبه فهو في البيت السابق رسم له المنزل كما عهده، وفي البيت

الثاني يطلب أن تشاهد قلبه وخاطره الذي لم يسكنه أحد بعد محبوبته، كذلك رداء الربيع الذي ترتديه دنيا الشاعر بهجة ومحبةّ للقاء فإنه استقى جماله من جمال ونقاوة ونعومة المحبوبة.

ثم يكرر طلبه أن تأتي لتنظر في هذا الفعل أيضاً تمهيد لمشهدٍ واقعي عبر صورةٍ حسية بصرية لترى الأنوار التي تجهّزت وأظلم كلّ حالكٍ حين سمعن بمجيئها فأنارت المنزل أنوارٌ طردت عنه الظلام فهي سترى منزلاً منوّراً لا ظلام فيه.

وبرفقة إعادة طلب المجيء يبين حاجته لوجودها بقربه فيحظى بقبلةٍ كما هذا النسيم الذي يلامس خديّها ففيها حياته وشفاء قلبه من شوقه إليها، لأنّ عدم اللقاء والوصال هلاكٌ بالنسبة للشاعر الذي بلغت معاناته على بعادها كمعاناة المشرف على الموت ولا سبيل لحياته إلى حضور محبوبته بقربه، فيدعوها إلى المجيء لترى حالته وتشاهد نزع نفسه الذي وصل إليه فهو لا يبالغ ويُشهد على ذلك دمعة الشوق التي ترتسم على عينيه في حالة نزاع الموت الذي أصابه ويكاد ينهي حياته.

ليطلب منها المجيء حتى تبكي على حالته حالة العاشق المولّه الذي نازع موته ويوشك أن يودّع حياته ولهذا يستعجلها للمجيء فالأمر غدا إنقاذه من الموت المشرف عليه الذي يكاد أن يُنهي وجوده ولا منقذ له سوى رؤية المحبوب في منزله.

وفي النهاية يستسلم لحالة النزاع الذي يحضره ويطلب طلبه الأخير وهو رشفة من لمى المحبوبة كآخر طلبٍ يطلبه في هذه الحياة واصفاً محبوبته بالبخل رغم انّها من أكرم الناس وهنا حسّ الطرافة والدعابة الذي تعوّدنا عليه في أبيات الشاعر إلياس فرحات والذي رافقه في معظم مواضيع أبياته.

وفي هذه القصيدة التي تدور حول العشق والحب وحالة المحبوب الذي شارف على الموت لم نجد صورةً بيانية واحدةً يحتاجها شاعرنا الواقعي لرسم حالته بل رأيناه

يستدعي محبوبته لتأتي وتراه في منزله وترى قلبه الذي لم يسكنه سواها وترى حالته التي رسمها في أبياته وطلب منها أن تأتي وتتأكد من ذلك مستعجلاً إياها فهو صادقٌ فيما كتب لم يكتب إلا ما تشهده حالته التي وصل إليها من شدّة حبّه لها.

في أبيات الشاعر تأكيده على مصداقيته وبعده عن التزييف والتزلّف وسعيه لرسم واقعه حتى مع محبوبته التي قد تطرب لسماع الغزل بعينيها أو بشعرها أو بحبها الذي قتله وغيرها من الحكايات الغرامية التي اعتدنا عليها في شعرنا العربي عند بعض الشعراء فرأيناهم يساهرون النجوم ويهجرون المضاجع ثم يكادون يموت ولكن شاعرنا رسم حالته كما هي منذ غادرته فلم يعد يقوى على الحياة إن هي لم تأتي بلغةٍ بسيطةٍ قريبةٍ من فهم البسطاء من القراء لا تعقيد ولا محسنات بلاغية فيها.

٣- واقعية الغربة والاغتراب:

- واقعية الشاعر في الحديث عن النفي وألم معاشرة الناس بروح الشاعر المرهفة: - الطويل-

نَفَتْنِي مِنَ الْمُدْنِ العَوَاصِـــمِ عِزَّتِي فَزُحْتُ بِأَطْرَافِ الوِلايَاتِ أَضْــرِبُ
أُعَاشِرُ مَنْ لَوْ عَاشَرَ القِرْدُ بَعْضَهَمْ لَمَـا رَدَّ عَنْ دَرْوِين قَبْرٌ مُقَبَّـبُ
وَأُنْصِـــتُ مُضْـــطَّرَاً إِلَى كُلِّ أَبْلَـهٍ كَأَنِّي بِأَسْـــرَارِ البَلاهَةِ مُعْجَبُ
وَأَكْرَهُ أَشْـــيَـاءً رَفِيقِي يُحِبُّهَـا وَأَرْغَبُ فِي أَشْـيَاءَ عَنْهُنَّ يَرْغَبُ
وَأَرْهَـبُ قُطَّـاعَ الطَّرِيقِ وَرُبَّمَـا تَعَمَّدْتُ إِظْهَارَ السِّـــلاَحِ لِيَرْهَبُوا
فَعِزُّ الفَتَى الطَّاوِي الفَيَافِي مُسَدَّسٌ كَمَا أَنَّ عِزَّ اللَيْثِ نَـابٌ وَمِخْلَبُ
وَمَا صِـــينَ حَقٌّ لاَ سِـــلاَحَ لِرَبِّهِ وَأَضْـعَفُ أَنْوَاعِ السِّـلاَحِ التَّأَدُّبُ
وَلَوْلاَ نُيُوبُ الأُسْـــدِ كَـانَتْ ذَلِيلَـةً تُسَـــاطُ وَتَغْنُو لِلشَّـــكِيمِ وَتُرْكَبُ

وَكَمْ ظَالِمٍ يَسْـــتَعْبِدُ النَّـاسَ عُنْوَةً وَحُجَّتُهُ الكُبْرَى الحُسَامُ الْمُشَطّبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

يستغل الشاعر الأجواء التي سادت في عصره حول نظرية التطور التي طرحها العالم داروين وما دار حولها من أصداء فيضمّنها في أبياته التي بين أيدينا في محاكات واقعية من نوعٍ آخر ففي حديثه عن هذه القصة التي عاشها في حياته وهي الهجرة من بلدان إلى بلدان ليقول أنَّ عزّة نفسه هي السبب ولذلك كان يُؤثر الابتعاد عن الأماكن التي يشعر فيها بالذل أو بالضيق، لأنّ فيها أناسٌ الحياة معها صعبة لا ينسبها لأصلها البشري بل جعل حتى القرود تتبرّأ منها من خلال الرمز العلمي (داروين) وما يمثله من رأيٍ جعل من القرود نفسها تحاسب داروين في قبره على جعل أولئك الأوغاد الذين كانوا سبباً في هروب الشاعر من عواصم كثيرة فكانت هذه القرود تريد أن تخرب قبره على هذه التهمة المنسوبة إليهم وهذا وإن حمل طابع السخرية إلا أنّه واقعٌ مؤلم يصور من خلاله وحشية البعض واستغلالهم للآخرين لضعفٍ فيهم أو رغبة في الإذلال.

ومن الناس من ينفّر الشاعر أيضاً بسبب غبائه وبلاهته وهم مع ذلك لا يصمتون بل يستمرون في التحدث ولعل عمله في البيع يضطره أن يستمع لهم وينصت لحديثهم كأنّه معجب لعلّهم يشترون بضاعته ويعطونه أثمان هذه العلاقة الناجحة التي تكونت خلال عملية البيع (رسم لواقع البائعين والمشترين وما يجري بينهم من أحاديث تمهّد للقنص والنهب).

يستكمل في استعراض أسباب النفي الذي أجراه على نفسه بمحض إرادته فحتى رفاقه الذين يشاطرونه حياته فإنه يكره كثيراً من الأشياء التي يحبونها ويرغب في أخرى هم لا يريدونها، حتى غدا كأحدهم فهو يكره قطّاعي الطرق كثيراً ولكنّه مضطر أن

يلجأ إلى عمل أعمالهما فتراه في تجواله يكشف عن مسدّسٍ في خصره يرهب من حوله حتى لا يطمعون به ويظنّونه لقمةً سائغة ولكنّه في الحقيقة قد يخيف الأبرياء الأنقياء الذي يكرهون مثله من الناس ولكنّه يعتزّ بذلك كما شعور أي شابٍّ ثلاثيني يحمل هذه الأداة وإن كانت لا تصلح للاستعمال أو لا يعرف كيف يستعملونها، فيعدها مظهر عزّ له عم يعتزّ الليث بنابه ومخالبه، فالأدب واللطف ليسا سلاحاً يمكن معهما الحفاظ على حقوق المرء (وهنا نلمح تمرّده على مفاهيم واقعية تسود في مجتمعه وتجعله يعلي صوته) فالأسود لولا هذه الأنياب والمخالب كانت كالحيوانات المركوبة التي لا تملكها فتراها تطيع كلّ زاجرٍ يزجرها لأنه لا تملك ما تدافع به عن حالها، وكذلك الناس تُستعبد للقويّ الذي يلوّح بسيفه مهدّداً بالضرب والقتل إن رفض أحدٌ قوله.

في الصورة الكلية للأبيات حديثٌ عامّي لشاب ثلاثيني يدّعي أنه فهم الحياة وقرر السفر لأن هذه البلاد لا يمكنه العيش فيها بسب أولئك الأوغاد الذي أصلهم قرود بل حتى القرود تتبرأ منهم، مدعياً البطولة وأنّه قادر على فتح طريقه بنفسه ورمز الشاعر في ذلك مسدس، هذه الحكاية حكاية الشاعر التي عاشها ولكنّها حكاية آلاف الشبان الذين لم يجدوا من يحضنهم ويوجّه مساعيهم واهتماماتهم فقرروا الرحيل.

لغة الشاعر ومفرداته بسيطة مناسبة لموضوعه (نفتني – عزّتي – أعاشر– مضطراً – معجب – البلاهة – أكره – أحب – أرهب – ليرهبوا – ظالم – يستعبد – حجّته) كلها مفردات تسمعها على لسان أي شاب قد هيّأ نفسه للسفر ويبحث عن السبب الذي يقنع به نفسه قبل الآخرين بأنه سيسافر هرباً من واقعه تمثلها.

– الواقعية في الحديث مع النفس وإقناعها بأسباب الهجرة: – الطويل–

أَقُولُ لِنَفْسِـي كُلَّمَا عَضَّـهَا الأَسَـى فَآلَمَهَا : صَبْرَاً فَفِي الصَّبْرِ مَكْسَبُ

لِئَنْ كَانَ صَعْبَاً حَمْلُكِ الْهَمَّ وَالأَذَى فَحَمْلُكِ مَنَّ النَّاسِ لاَ شَـكَّ أَصْـعَبُ

فَلَوْلاَ إِبَـاءٌ مَـازَجَ الطَّبْعَ لَمْ أَكُنْ لِمِثْلِي مَجِيءٌ فِي البَرَارِي وَمَذْهَبُ

وَلَوْلاَ رَجَـائِي أَنْ تَظَلَّي بَعِيـدَةً عَنِ الضَّيْمِ لَمْ يُوطَأْ بِرِجْلِيَ سَبْسَبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

كما أردفنا سابقا فهذا الشاب الثلاثيني يحضّر نفسه للنفي والسفر والهجرة ويستجمع أسبابه الموجبة لذلك فيحدّث نفسه قائلاً كلّما أصابها الحزن وآلمها أن تصبر ففي صبرها مكاسب سيحملها إليها الانتقال من هذه البلاد وهاذ مردّه في نظر الشاعر إلى إباء نفسه الذلّ الذي غدا طبعاً لا تكلّفاً وإلّا لما كان كثير الترحال والسفر ولولا صونه لنفسه من الذل والهوان ورفضه له لما قطع الصحاري والبلاد بحثاً عن كرامة العيش وهناءته.

الشاعر لم يبحث عن أسباب أخرى يوضّح بها دوافع هجرته بل تحدّث عن الواقع الذي يجول في داخله ويعيشه هذا الحديث الذي نسمعه على لسان الشاعر هو حديث كل الشباب الثلاثينيين في معرض تمرّدهم على واقعهم الذي يحتّم عليهم العيش بأسلوب معيّن لا يمكن لروحهم المجبولة على العزّة والكرامة في بلادهم أن تقبله فلا تترك مجالاً لهم سوى السفر والهجرة لعلّهم يجدون فرصةً أخرى، فهذا طبعٌ طبع عليه أبناء الشرق فالعمل وسيلة للعيش ولكن النفس الأبية يجب صونها مهما تكلّف المرء على ذلك وما ذلك إلا انعكاس للواقع الذي عاشها الشاعر وتربيته البيئية التي نشأ وترعرع فيها.

- واقعية الشاعر في الحديث عن الصحبة: - الطويل-

فَلاَ تَعْذِلِي صَحْبَاً دَرُوا بِي وَمَا عَنَوا بِأَمْرِي فَهُمْ مِنِّي إِلَى الفَقْرِ أَقْرَبُ

وَلاَ تَأْمَلِي مِنْ غَيْرِ صَــحْبِي مَعُونَةً مَا تُخْضَبُ الكَفَّانِ وَالقَلْبُ مُجْدِبُ

وَلاَ تَرْتَجِي الإِخْلاَصَ مِنْ كُلِّ بَاسِــمٍ فَفِي البَاسِمِينَ الْمُبْغِضُ الْمُتَحَبِّبُ

وَلَوْ كَـانَ كُـلُّ المُظْهِرِينَ لِيَ الوَفَـا وَفِيِّينَ لَمْ يُعْجِزْكِ يَا نَفْسُ مَطْلَبُ

(فرحات، المصدر نفسه)

ثم يلجأ الشاعر إلى تبرئة صحبه ممّا ذكره في الأبيات السابقة فيدعو نفسه أن تمنحهم العذر لأنّهم فقراء مثله ولا يمكن تأمّل النصرة من الفقراء لأنّه يبحثون عن الناصر لهم، وهو على هذه الحالة لا يتأمل النصرة إلا منهم فأمله فيهم هكذا يخبر نفسه لأنّ القلب الفقير لا يملك يدان تمتلكان الخير، ولهذا فإن الوفاء لا يمكن أن يأتي من كل أحدٍ تبسّم في وجهه يوماً فلربّما أحبّ الياسمين شخصٌ مبغضٌ لا يحمل في قلبه الخير فالياسمين لا يتحمّل العبء في هذه المحبة، أما كثرة المظهرين المحبة له فهو لا يتوقّع منهم نصرة مخبراً نفسه بذلك لأن الواقع أخبره به.

وفي هذه الأبيات نجد صورة الشاعر الملتمس العذر لصحبه الذين يعيشون عيشة الفقراء فلا يستطيعون نصرة رفيقٍ لهم وهذا واقعٌ ملموس، كذلك كثرة المجاملين أو المتبسّمين هي صورةٌ واقعية تستدعي الحديث من قبل الناس أنَّ الكشف عن المحبّين تكون في الشّدائد والشَّاعر يعبّر عن ذلك في فكرة أبياته فالشّدائد الّتي عاشها جعلته يقف موقف الحكمة هنا ويستنبط من واقعه عذراً لما يجري معه.

٧- النتائج:

١- الشاعر إلياس فرحات أسير واقعه الذي عاشه وصوّره بمراحله المختلفة ومنه استقى مواضيعه في (السفر، الصحبة، السكن، العمل) وصاغها بأسلوبٍ قصصيٍّ شعري.

٢- قصائده بعيدة عن الصيغ البلاغية والبيانية بل عمد على تصوير واقعه كما هو بريشة رسام يرسم صورةً أمام عينيه لا يعتمد فيها الخيال.

٣- نسج الياس فرحات قصائده على أساس الواقعية فصور مشاكل يعاني منها أغلب الشباب في السعي خلف الرزق والاغتراب في قالب أدبي وفني، يحمل في طياته الصدق والابتعاد عن التكلف أو التصنع.

٤- لم يكن للشاعر إلياس فرحات هدفاً من أسلوبه الواقعي في قصائده سوى إيصال همومه وأفكاره للآخرين بأسلوبٍ شعري إذ ابتعد عن إظهار مقدراته البلاغية والشعرية مكتفياً بغرضه الرئيسي.

٥- اعتمد في أسلوبه الشعري اللغوي على البساطة اللغوية والابتعاد عن التعقيد اللغوي فكان قريباً من الطبقات الثقافية البسيطة التي رافقته.

٨- المصادر:

١. ابن منظور، جمال الدين (١٩٩٨م). لسان العرب. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٢. حاقة(١٩٧٩م). الالتزام في الشعر العربي. دار العلم للملايين. بيروت. ط١.

٣. الأصفر، عبد الرزاق (١٩٩٩م). المذاهب الأدبية لدى الغرب. منشورات اتحاد الكتّاب العرب.

٤. العروبة تكرم إلياس فرحات، وزارة الثقافة والإرشاد القومي السوري، د.ت.

٥. الناعوري عيسى (٢٠١٣م)، إلياس فرحات شاعر العروبة في المهجر، دار فضاءات للنشر.

٦. حمود، محمد العبد (١٩٩٥)، الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها. بيروت. الشركة العالمية.

٧. جيوسي، الخضراء، سلمى (٢٠٠١م). الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث. بيروت.

٨. خضر عباس(١٩٦٧م). الواقعية في الأدب. دار الجمهورية. بغداد.

٩. خفاجي، عبد المنعم(١٩٩٢م). دراسات في الأدب العربي الحديث. ج١. ط١. بيروت. دار الجبل.

١٠. راغب، نبيل(٢٠٠٣م). موسوعة النظريات الأدبية. الشركة المصرية للنشر لونجان.

١١. شراد، شلتاغ(١٩٩٨م). تطور الشعر العربي الحديث. عمان. دار مجدلاوي.

١٢. ضيف، شوقي. (١٤٢٦هـ). الفن ومذاهبه في الشعر العربي. مصر: دار المعارف

١٣. عباس، إحسان(١٩٧٩م). اتجاهات الشعر العربي المعاصر. الكويت. عالم المعرفة.

١٤. عريض، إبراهيم(١٩٩٥م). الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث. البحرين. مكتبة فخراوي.

١٥. فرحات، الياس، ديوان، ١٩٣٢م، سان باولو.

١٦. فضل، صلاح (٢٠٠٢م). منهج الواقعية في الإبداع الأدبي. دار الكتب المصري. القاهرة. دار الكتاب اللبناني.

١٧. الفاخوري، حنا، (١٩٥٣م)، تاريخ الأدب العربي، بيروت، المطبعة، البولسية.

١٨. موسوعة مؤسسة الديوان، السعودية، مجلة إلكترونية، أسست عام ٢٠١٣م.

١٩. مرزوق حلمي (١٩٨٣م). الرومانتيكية والواقعية في الأدب. دار النهضة العربية. بيروت.

٢٠. مجيدي حسن،(٢٠١١م)،التحليل والنقد لشخصية وأدب الياس فرحات،إضاءات نقدية العدد٢.

Sources:

1. Ibn Manzur, Jamal al-Din (1998). *Lisan al-Arab*. Dar Ihya al-Turath al-Arabi. Beirut.
2. Haqah (1979). *Commitment in Arabic Poetry*. Dar Al-Ilm Lilmalayeen. Beirut. 1st edition.
3. Al-Asfar, Abdul Razak (1999). *Literary Schools in the West*. Publications of the Arab Writers Union.
4. Arabism Honors Elias Farhat, Ministry of Culture and National Guidance, Syria, n.d.
5. Naouri, Issa (2013). *Elias Farhat: Poet of Arabism in Exile*. Dar Fadaat for Publishing.
6. Hamoud, Muhammad Al-Abed (1995). *Modernity in Contemporary Arabic Poetry: Its Statement and Manifestations*. Beirut. Al-Sharika Al-Alamiya.
7. Jiyusi, Al-Khadra, Salma (2001). *Trends and Movements in Modern Arabic Poetry*. Beirut.
8. Khadr Abbas (1967). *Realism in Literature*. Dar Al-Jumhuriya. Baghdad.
9. Khafaji, Abdul Moneim (1992). *Studies in Modern Arabic Literature*. Vol. 1. 1st edition. Beirut. Dar Al-Jabal.
10. Ragheb, Nabil (2003). *Encyclopedia of Literary Theories*. Egyptian Publishing Company, Longan.
11. Sharad, Shaltagh (1998). *The Development of Modern Arabic Poetry*. Amman. Dar Majdali.
12. Dhef, Shawqi (1426 AH). *Art and Its Schools in Arabic Poetry*. Egypt: Dar Al-Ma'arif.
13. Abbas, Ihsan (1979). *Trends in Contemporary Arabic Poetry*. Kuwait. World of Knowledge.
14. Aride, Ibrahim (1995). *Poetry and Its Issues in Modern Arabic Literature*. Bahrain. Fakhrawy Library.
15. Farhat, Elias. *Diwan*, 1932, San Paolo.
16. Fadl, Salah (2002). *The Method of Realism in Literary Creativity*. Egyptian Books House. Cairo. Lebanese Book House.
17. Al-Fakhouri, Hanna (1953). *History of Arabic Literature*. Beirut. Al-Boulisi Press.

18. Diwan Foundation Encyclopedia, Saudi Arabia, Electronic Magazine, established in 2013.
19. Marzouk Helmi (1983). *Romanticism and Realism in Literature*. Dar Al-Nahda Al-Arabiya. Beirut.
20. Majidi Hassan (2011). *Analysis and Critique of Elias Farhat's Character and Literature: Critical Insights, Issue 2*.